

مدح سید العرب والعجم

(عند غلام علی آزاد البلگرامی)

☆ غلام عباس ندیم
☆ افتخار احمد خان

Abstract:

"The article discusses the praise of the last Messenger of Allah (PBUH). It starts with the brief history of praise of the Holy Prophet (PBUH). It has been stated that Syed Ghulam Ali Azad Bilgrami had been taken to be one of the most renowned scholar of the subcontinent. He is ascribed to be from the lineage of Hazrat Hussain (May God be pleased with him). He has been said to be Hassan of the subcontinent for his well known "Eulogy". The most renowned topics of his eulogy are: The birth of the Holy Prophet (PBUH), His childhood, Youth, Miracles, Excellence over the other prophets, and Characteristics, The other topics are Al-Tawassul and Compassionation."

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من كان نبيا وأدم بين الماء والتين وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابتهم أجمعين.

أما بعد ! فالمدح نقيض الهجاء ، وهو حسن الثناء والمدحة: اسم المديح والجمع الممدوح والمدائح والأمدائح^(۲) . والمدح في الاصطلاح هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وإن هذه

☆ المحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكلية الحكومية ، فيصل آباد

☆ المحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكلية الحكومية ، فيصل آباد

الصفات عریقة فیہ وفی قومہ وبتعداد محاسنہ الخلقیة کالجماں وبسطة الجسم
وشاع المدح عند ما ابتذل الشعر واتخذہ الشعراء مہنہ... (۳)

فلا شک فیہ أن الإسلام امتاز علی أنظمة الدین والدنیا جمیعا بکما له ووفائہ بحاجة المجتمع الإنسانی ، لیكون به سعید فی کل زمان ومکان ولم یسبق له نظیر فی کل ہدایة عرفہا البشر ، والفضل فی هذا کلہ یرجع إلی الہادی الأعظم ، محمد رسول اللہ ﷺ.

بدأ مدح النبی ﷺ ببداء الخلق وجعل یتسع باتساع الخلق أخبر کل نبی أمتہ عن خاتم الرسل ﷺ ، وقد اهتم أصحاب السیر لہذہ المبشرات فی کتبہم. الکتب السماویة ملیئة بذکر سید الخلق علیہ السلام. لا یمکن احصاء ہذہ الروایات فی هذا الموضوع فنکتفی بالآیات التي توجد بالصراحة فی القرآن الکریم.

جاء فی القرآن الکریم: ”یَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ“ (۴)
وذكرہم اللہ تعالیٰ أهل الكتاب بانتظارہم للنبی الکریم ﷺ الذی ینجیہم من المصائب ، وهم كانوا یتوسلون بہ للانتصار علی أعدائہم الکفار قبل ولادته:
”وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا“ (۵)

وأعلن سيدنا عيسى عليه السلام مصرحا:

”وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ“ (۶)

بدأت تظهر آثار طلوع شمس النبوة كاسفار الصبح قبل طلوع شمس السماء. الناس يتكلمون فيما بينهم عن النبي اللاتي. حتى بشر الجن ميلاده عليه السلام وشاهد ورقة بن نوفل كيفية نزول الوحي ومدح جده عبدالمطلب عند ولادته وهكذا مدح أمية بن أبي الصلت وأبو طالب والأعشى في العصر الجاهلي. وفي عصر صدر الإسلام مدح الصحابة الكثيرون النبي الکریم ﷺ مثل حسان بن ثابت ولييد بن ربيعة العامري وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك والنابعة الجعدي رضوان الله عليهم أجمعين وغير ذلك. وهكذا مدح العلماء والشعراء الكثيرون النبي الکریم ﷺ في العصر الأموي والعباسي والعصر الحديث. لما جاء شعراء العرب في شبه القارة وظهروا في هذه البلاد ونسبوا إليها ولقبوا بالشاعر الملتاني والشاعر السندي ، والشاعر الديبلي وغير ذلك فقد استفاد أهل هذه البلاد الهندية وأبرزوا في هذا المجال ونظموا القصائد والدواوين في شتى الأغراض والموضوعات. ومن أبرز الشعراء المادحين في شبه القارة هم : أبو عطاء السندي والبيروني وعطاء بن يعقوب الغزنوي ، والشيخ فخر الدين العراقي والشيخ أبو الفتح ركن الدين الملتاني. والقاضي عبدالمقتدر التهانيسري والشيخ أحمد التهانيسري

والعلامة فيضى والشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى والشيخ محمد هاشم التتوى والسيد عبدالجليل البلكرامى والشاه ولى الله المحدث الدهلوى ومولانا فضل حق الخير آبادى وفيض الحسن السهارنبورى وشاعرنا السيد غلام على آزاد البلكرامى وغير ذلك.

كان السيد غلام على آزاد البلكرامى من أشهر شعراء الهند الذين نظموا بالعربية وأكثرهم انتاجاً، لم يكن له نظير فى زمانه فى النحو واللغة والشعر والبديع والتاريخ والسير والأنساب. كان شاعراً مجيداً فى اللغتين العربية والفارسية. (٤) كما أنه كان قد أكثر من المدائح النبوية فى الشعر العربى وهو أكبر شاعر عربى فى شبه القارة وإمام العربية وعلومها فى وقته وذلك بالإضافة إلى شعره الكثير الغزير، وكان يسمى بـ ”حسان الهند“ لقصائده الغراء فى مدح الرسول ﷺ وقد ابتكر فى مدائحه معانى كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين وأبدع فى قصائده المدحية بخالص من عواطفها من مشاعرها، لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدين الناطقين بالضاد. (٨)

منهج السيد البلكرامى فى المدح

اتخذ شاعرنا كعب بن زهير أستاذاً له حيث يقول :

نسجت كابن زهير برد مدحته

لقد غدا قلم الأستاذ منوالى

لقد اتبع آزاد لكعب فى طريقة الإفتتاح وتضمنين بعض أفاظه ورغم أن آزاد شاعر مكثر فى المديح النبوى، إلا أنه يتخذ الاختصار. وعند يتناول أى معنى لا يعهد له، ولا يراعى تسلسل الحوادث إذ يأخذ من هنا صورة ومن هنا مشهداً لا يربط بينهما بشئ. ويقول فى الاختصار :

ما نال رتبته جن ولا بشر

هذا مديح رسول الله مختصراً

أنى لسان يؤدى حق مدحته

ومن ثم يأتى بها آزاد معتذراً (٩)

شاعرنا آزاد بين المادحين :

اطلع آزاد على مدائح فحول الشعراء وتأثر بهم، ولكنه لم يبلغ من الإجاداة

غير أنه يدعى أنه يساويهم أو يعلو عليهم كما يقول :

اثنى عليك فحول فاق

كلامهم فى مقام المدح بأصول

لا ضیر إن كنت فی الأخوان منتقفا
 یوم الوغی أحسن الأرماح مهزول
 و رب ذی کبر یعلوه ذو صغر
 لا یتلغ الحال فی الإعجاب تؤلؤل^(۱۰)

وإذا نطالع دواوین المادحین ونقارن بینهم و بین آزاد أنه یعالی بنفسه وشعره.
 هیئة القصائد المدحیة للسید غلام علی آزاد:

بدأ آزاد مدائحه بالغزل علی طریقة الجاهلیین رغم الفاضل الزمنی الکبیر ،
 وقد استأثرت هذه الطریقة بعقول الشعراء علی مدى العصور .

فما زال الشعراء المتأخرون یقتدون هذا المنهج فی قصائدهم ، ولذا شاعرنا
 آزاد یتبع هذا المنهج المؤطا القدیمة . وقد طرقت آزاد فی هذه الافتتاحیات المعانی الی
 سبق لیها الجاهلیون فی افتتاحیاتهم مثل: الأطلال ، ومشاهد التحمل ، والرحیل
 والنسیم والبرق وغناء الحمام والطیف وسحر العیون وقتل الهوی وما إلى ذلك.^(۱۱)

الموضوعات الی تناولها فی المدح

أغراض مدح الرسول ﷺ فی قصائده عدیة نذكرها بالاختصار وأهمها هی:

- ۱- مولد النبی ﷺ
- ۲- طفولته ﷺ
- ۳- شبابه ﷺ
- ۴- معجزاته ﷺ
- ۵- فضیلته علی سائر الأنبیاء والمرسلین
- ۶- شمائله ﷺ
- ۷- التوسل والاستعطاف^(۱۲)

سیأتی ذکر بعض منها بالتفصیل .

القصائد الی مدح بها رسول الله ﷺ

اختص شاعرنا آزاد القصیة الأولى فی جمع دواوینه بمدح النبی ﷺ ،
 أما دیوانه الأول والثانی والثالث . فإن معظمها تشتمل علی القصائد المدحیة ،
 وتفصیل تلك القصائد المدحیة كما یلی :

الدیوان الأول

یشتمل علی ثلاث وعشرین قصیة : ص ۲-۲۸

الديوان الثاني

يشتمل على قصيدتين : ص ۲-۵

الديوان الثالث

يشتمل على خمس قصائد: ص ۲-۱۹ (۱۳)

۱- مولد النبي ﷺ

تروى كتب السيرة فى مولد الرسول ﷺ إرھاصات كثيرة مثل خمود النيران فى الفرس وانشقاق الجدران فى إيوان كسرى ، وظهور الأنوار بين السماء والأرض وغير ذلك. وقد صاغ شاعرنا من ذلك، وقوله:

أثار ميلاده الافاق قاطبة
والشمس تمحو الدجى فى أول القدم
لا غرو إن خمدت نار على يده
أليس فى يده ذخر من الديم
لقد حمى البيت من إيذاء برثنة
وهذ إيوان كسرى مارء العجم (۱۴)

۲- شبابه ﷺ

لم يلتفت آزاد إلى هذا الموضوع فى شعره إلا ما جاء نادر كقوله عن اشتھاره بين العرب بالأمانة. وقد اشتهر فيها النبي ﷺ عند ما سافر إلى الشام لغرض التجارة ومعہ ميسرة عامل خديجة الكبرى رضى الله عنها وفى ذاك الوقت كان شابا يقول آزاد:

هذا النبي أمين وابن آمنة
وقد هداانا إلى يمن وايمان
ويقول عن رأيتہ السديد الذى قدمه ﷺ حينما كان شابا فى تنصيب الركن اليماني.
قد حمل البرد ركذا كى يشيده
طوبى لرأى متين شاد بنيانا (۱۵)

۳- معجزاته ﷺ

قد ورد موضوع (معجزاته ﷺ) فى شعر السيد البلكرامى بكثرة. وقد اخترنا بعض الأبيات على الموضوع المذكور من القصائد المختلفة كى يتضح أماننا

ملکته الشعرية وتفوقه على الشعراء المعاصرين والمحدثين له في نظم هذا الموضوع. شاعرنا يتكرر المعجزات ويتنوع معانيها كما يقول عند ما سجل:

أومى إلى فلك الدنيا بإصبعه
فالبدر خر له خرا على الذقن
تضيف الشاة في الفقراء مجدبة
جادت و لله در الشاة بالبن

وقوله أيضا في معجزاته صلی اللہ علیہ وسلم :

نطق المسيح بمهده وبكفه
صم الحصى سبحن كالأحياء
غرس النخيل فأثمرت من عامها
بعناق مملوك من الصلحاء
حنّ الجذيع من الفراق كأنه
عود يحنّ بلا يد العواد
وقلت للشمس عودی وهى غائبة
فطاوعت أمرك العالی على رشد
فإن تكلم طبي فهو ذو نفس
فليس شادى الحصى من جنس حيوان
وشق بدر الدجى ايماء إصبعه
نعم وإصبعه مفتاح أفعال^(۱۶)
قد طهر الله يوم الشق جوهره
هذا حسام من الأصداء مصقول^(۱۷)

انشد شاعرنا البلكرامى معجزاته صلی اللہ علیہ وسلم فى أكثر قصائده كما ذكرنا سابقا. ذكر آزاد البلكرامى فى هذه الأبيات من معجزاته صلی اللہ علیہ وسلم تسبيح الحصى واثمار النخيل قبل الوقت وحنين الجذع لفراقه ، ورجوع الشمس بعد غروبها ، وانشقاق القمر بإيماء إصبعه ، وكلام الطبي والحصى وشق الصدر وغير ذلك.

الإسراء والمعراج

كان الإسراء والمعراج من أكبر الحوادث فى تاريخ الإسلام وما تركها شاعرنا فارغا بل أعطاه أهمية ومكانة كبرى فى معظم شعره كما يقول :

قدر ارتقی فی السماء حقا
وحلّ بالمنزل الرحیب
ویصف لیلۃ الإسراء :

سرى لیلا إلى فلك محیط
ونور سوح یشرب بالسکون
ویذکر شاعرنا آزاد منزلة سیدنا محمد ﷺ فیقول :
سرى إلى الفلك الأعلى فشرفه
لقد أتم به نور الکمالات
نور تجاوز سعا وهى ما احترقت
کناظر العین فاستیقظ ولا تتم (۱۸)

فی هذه الأبیات یصف شاعرنا منزلة لیلۃ الإسراء والمعراج ویذکر منزلة سیدنا محمد ﷺ ومعجزته اسراء اللیل إلى السماء للمعراج علی متن البراق فی وقت قلیل وغیر ذلك.

۲- فضیلتہ علی جمیع الأنبیاء والمرسلین

الأنبیاء صلوات الله علیهم هم خیر خلق الله سبحانه وتعالى ، وفضل الله سبحانه وتعالى بعض الأنبیاء والرسل علی بعضهم ، كما یقول :
تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ (۱۹)

انشد البلکرامی فی فضیلة نبینا ﷺ أكثر قصائده و ذکر خصائصه وفضائله

كما هو یقول :

هو أفضل الرسل الکرام جمیعهم
وأجلهم قدرا وأرفع منصبا
هو الکوکب السیار فی فلك الهدی
له الأنبیاء المصطفون یطالع
هذا الضیاء المحض صبح صادق
والأنبیاء کواکب الأسحار
أفضی إلى الرسل الکرام فیوضه
والشمس تملأ أكواس الأقمار
محمد عمت الأشياء بعثته

فاق النبیین فی جاه وإجلال
تالله ما خلقوا إلا بخاتمهم
هنا المقدم موقوف علی التالی
ما من نبی أقيمت قبل دولته
إلا و بعد رسول الله مفضول
إن غاب كل نبی عند بعثته
فالنجم عند طلوع الشمس معزول

فی هذه الأبيات يذكر شاعرنا آزاد أن نبينا ﷺ هو أفضل الرسل الكرام وأجلهم قدرا وأرفع مناصبا ورسالته عميمة كافة للناس جميعا وقت بعثته إلى يوم القيامة ومثل نبينا ﷺ بين الأنبياء كمثل الشمس بين الكواكب والأقمار ، ثم يقول : ان نبينا ﷺ فاق النبیین لشمائله وخصائصه كالجاه والإجلال وخاصة بأنه خاتم النبیین والمرسلين.

۵- الشفاعة والرحمة

قد ورد موضوع (الشفاعة والرحمة) فی شعر آزاد البلكرامی بكثرة ، وقد اخترنا بعض الأبيات على الموضوع المذكور من القصائد المختلفة. وهو يقول :

لا غرو إن ذابت جهنم حسرة
هو بالشفاعة لا يغادر مذنبا (۲۲)
رسول الله من ينجى الورى من
لظى فيها وقود من عباد (۲۳)
يقوم شفيعا للعصاة تفضلا
فيغبطهم فى هذا الحال طائع (۲۴)
يا رحمة للعالمين جميعهم
أصبحت خير مظاهر الرحمان
عرفنا لتخليص الغزاة أنه
لنا مثل أم أو أب متفضل (۲۵)

فی هذه الأبيات يتحدث شاعرنا عن شفاعة النبى ﷺ ، ويذكر أنه شافع للعصاة، وهذا من شدة رحمته ورأفته حتى إن جهنم لتحزن على خروج المشفع منها ، وتحسر على دخوله الجنة وكذلك يقول فى عموم شفاعته ﷺ بأنه شافع وناج للورى كله. ينجى من عذاب الله ويغبط بفضله ورحمته من صعوبات يوم القيامة بأنه رؤوف

ورحیم ، یعطف علی المحرومین ویواسی الضعفاء ینجد المکروبین. وقد امتدّ هذا العطف إلى الناس جميعا مهما كان مؤمنا أو كافرا. فإذا كان الله قد اتصف بالرحمة. فإن محمدا ﷺ قد مثل رحمة الله السابعة بأنه رحمة للعالمين. ”وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ“ (٢٦) ومن رحمته ﷺ كان حريصا على هداية كافة الناس ”لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ“ (٢٥) ولقد أحسن وشبه شاعرنا آزاد في تصوير رحمته ﷺ برحمة الوالدين لإبناءهما.

خلاصة القول أنه كان من كبار الأدباء والشعراء الهندي. وأنه رجل أديب وفاضل وعالم كبير وشاعر بليغ ويبلغ عدد أبياته عشرين ألف بيت كما أن مؤلفاته التاريخية ذات قيمة وتاريخية وأنه استفاد كثيرا من رحلاته خارج وطنه ومسقط رأسه.



الهوامش والمصادر

١. البلكرامى: هي نسبة السيد غلام على آزاد، والبلكرام قصبة عظيمة بقرب قنوج ومركز من مراكز الثقافة الإسلامية من أيام أكبر إلى القرن التاسع عشر. (أنظر: القنوجى ، صديق حسن خان ، العلامة: أبجد العلوم، المكتبة القدوسية، لاهور، سنة ١٩٨٣م، ٣/٢٣٦).
٢. الأزهرى ، محمد بن أحمد ، أبو منصور: تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مكتبة الأندلس، مصر، ١٩٦٢م، ٢/٣٣٢.
٣. الهاشمى ، أحمد: جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب، لبنان، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٣٢٣.
٤. الأعراف: ١٥٤.
٥. البقرة: ٨٩:٢
- ٦: الصف: ٦
- ٧: عبدالحى الحسنى اللكنوى ، العلامة: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ملتان، طيب اكيديمى، ١٩٩١م، ٦/٢٠٨.
٨. الندوى ، رضوان على، السيد: اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة الهندية الباكستانية، كراتشى ، منشورات جامعة كراتشى، ١٩٩٥م، ص ٣٠٥.
٩. البلكرامى ، غلام على آزاد، السيد: الديوان العاشر، (مخطوط)

۱۰. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد: الديوان الثالث، حیدر آباد دکن ، مطبعة
کنز العلوم، بدون السنة ، ص ۱۱.
۱۱. الشلقامی ، عبدالمقصود: رسالة الدكتوراة ، مخطوط ، لاهور جامعة بنجاب، ص ۱۲۰
۱۲. المرجع السابق ، ص ۱۲۲-۱۲۰
۱۳. انظر :الدواوين الثلاثة لآزاد، ص ۲-۲۸، ۲-۵، ۲-۱۹
۱۴. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول، حیدر آباد دکن ، مطبعة
کنز العلوم، بدون السنة ، ص ۴۰
۱۵. المصدر السابق ، ص ۴۲، ۴۵
۱۶. المصدر السابق ، ص ۳، ۱۳، ۱۶، ۳۲، ۳۲، ۴۵
۱۷. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الثالث، ص ۱۱
۱۸. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول ، ص ۹، ۱۳، ۴۱، ۴۷
۱۹. البقرة ۲: ۲۵۳
۲۰. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول ، ص ۱۰، ۲۸، ۳۲، ۹۴
۲۱. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الثالث، ص ۱۰-۱۱
۲۲. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول ، ص ۱۱
۲۳. البلکرامی، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الثاني، مطبعة لوح محفوظ، حیدر آباد
دکن، بدون السنة ، ص ۴
۲۴. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول ، ص ۲۸
۲۵. المصدر السابق ، ص ۱۷، ۳۷
۲۶. الانبياء ۱۶: ۱۰۷
۲۷. يونس ۱۰: ۱۲۸
۲۸. البلکرامی ، غلام علی آزاد، السيد:الديوان الأول ، ص ۵